

بالخطيئة كما رأينا ، انفصل الإنسان عن الله وغدا مهشماً طريحاً غير قادر أن ينهض نفسه من الهوة التي سقط فيها . بإمكانه أن يرتفع إلى الله ولذلك فقد شاء الله في محبته أن ينحدر بنفسه إلى الإنسان ليعيد الشركة بين الإنسان وبينه . إن الله أحب الإنسان وحباً جنونياً : على حد تعبير اللاهوتي نقولا كابسيلاس ، حتى أنه وهو الكائن الأبدي ، الخالق ، ذو السعادة المطلقة ، لم يترك وشأنه ذاك الإنسان الذي رفضه إختيارياً بل انحدر إليه ساعياً في طلبه ، كما سعى الراعي الذي تكلم عنه الرب يسوع وراء الخروف الضال ، بالتجسد أخذ الله على نفسه طبيعتنا البشرية المنحطة ، الساقطة ، وضّمها إلى لاهوته ، تسري فيها الحياة الإلهية وتجدها . وتشدها وكأنها تعيد تكوينها من جديد . إن الإنسان عندما يفسد دمه أو ينزف منه بغزارة يحتاج إلى دم جديد ينقل إلى جسمه المريض فيجري في شرايينه ويعيد إليهم الصحة والحياة . هكذا داوى الله بالتجسد هذا التزيف الروحي المريع الذي هو الخطيئة الأصلية . بالتجسد بث الله حياته في الإنسان المريض ، الجريح ، بالتجسد اتحد الله ذاته بالإنسان لكي تسري في الإنسان حياة الله ، لقد رأينا ان الإنسان سقط لكونه أراد أن يجعل نفسه إلهاً دون الله ، بالاستغناء عن الله . لقد كان يتوق الى التآله ولكنه ضل الطريق إذ اعتقد أن التآله يتم بانتفاخ الأنف . لقد كان في تصميم الله أن يتآله الإنسان ، فإنه لم يخلق الإنسان ليكون له عبداً بل شريكاً في حياته الإلهية . ولكن هذا التآله لم يكن ممكناً بمعزل عن الله بل كان مشروطاً باتحاد الإنسان بالله ، لأن من الله ومن الله وحده يستمد الإنسان كل موهبة وقوة وحياة . خارج الله ليس سوى العدم والفراغ والموت ، ولكن الإنسان استمع إلى خداع الشرير فطمع بالتآله دون الله ، فلم يبلغ مأربه بل انحط من مستواه الإنساني الأصيل عندما أراد أن يتشامخ فوقه وأخضع طبيعته للموت . لقد كانت وعود الشيطان كاذبة (لقد قال عنه يسوع أنه « كذوب وأبو الكذب » في يوحنا ٨ : ٤٤) عندما أعلن للإنسان أنه بمخالفة الله يصير إلهاً . تلك الوعود البراقة كانت وهماً وخداعاً ولكن ما لم يستطع الإنسان أن يحققه عندما تشامخ حقه له الله عندما نزل إليه . ((اليوم ينكشف السر الذي قبل الدهور وابن الله يصير ابن البشر لكي أنه باتخاذ الأذى يهبني الأفضل . لقد خاب آدم قديماً فلم يصر إلهاً كما كان قد اشتهى . هكذا اتخذ الله غير المحدود طبيعتنا المحدودة ، والكامل الخالد طبيعتنا الضعيفة المائتة . إن مجرد اتخاذه طبيعتنا المخلوقة وهو الخالق تنازل منه ، ولكنه ذهب في التنازل الحبي إلى حد اتخاذه طبيعتنا في الحالة التعيسة التي آلت إليها بسبب سقطتها . هكذا بتنازله داوى تشامخ وانحداره إلينا رفعنا إليه ، ولكن ماذا يعني قولنا أن الإنسان : تأله ، بالتجسد ؟ هذا لا يعني أننا أصبحنا آلهة بالطبيعة ، فأنا لا زلنا مخلوقات . ولكن التآله يعني أن حياة الله قد أعطيت لنا فصرنا مشاركين له في محبته ، في مجده ، في قوته ، في فرحه ، في حكمته ، في قداسته ، في خلوده . لم نبلغ جوهر الله لأنه دائماً متعال لا يمكن الوصول إليه ، ولكن القوى الإلهية أعطيت لنا وأصبحت في متناولنا . هذا ما أوضحه بنوع خاص القديس غريغوريوس بالاماس وثبته المجامع الأرثوذكسية ، بهذا المعنى ينبغي أن نفهم كلمة الرسول بطرس : « لقد صرتم شركاء الطبيعة الإلهية . (٢) بطرس ١ : ٤) . التجسد إذا مبادرة محبة مجانية من الله نحو الإنسان الذي ابتعد عنه ورفضه باختياره : ((بهذا ظهرت محبة الله فيما بيننا : بأن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به . على هذا تقوم المحبة : لا اننا نحن أحببنا الله بل هو نفسه أحبنا وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا)) : (يوحنا ٤ : ٩ و ١٠) . ولكن محبة الله لا تفرض فرضاً ، ولذا كان على الإنسان أن يتقبل مبادرة الحب الإلهي هذه . من أجل ذلك اهتم الله بمحبة أبوية ان يهيئ البشر تدريجياً إلى استقبال التجسد وكان عمله شبيهاً بعمل المربي الحكيم الذي يهيئ للطفل الظروف المؤاتية كي يرقى مراحل النمو الواحدة تلو الأخرى حتى يصل إلى البلوغ . وقد ظهرت هذه التربية الإلهية الحرية الإنسان خاصة في الشعب الإسرائيلي الذي بقي وحده بين الشعوب أميناً لله رغم خطاياها الكثيرة فقيه خاصة هيأ الله البشر إلى استقبال التجسد حتى إذا تم يحمل أفراد من هذا الشعب بشارته إلى العالم أجمع . وهو مجموعة شرائع أعطيت إلى الشعب الإسرائيلي بوحى من الله . وقد قال عنه الرسول بولس : « فالناموس إذا كان مؤدياً يرشدنا إلى المسيح ، (غلاطية ٣ : ٢٤) . والمؤدب كان عند اليونان عبداً موكولاً إليه أن يصحب الأولاد المؤمن عليها ويسهر عليهم ويلقنهم مبادئ المعرفة ليتمكنوا فيما بعد من استماع دروس يلقونها معلم شهير . تلك كانت وظيفة الناموس بالنسبة إلى اليهود . الوصايا العشر مثلاً كانت غايتها تهذيب أخلاق الناس كي يعدوا للدخول في ملكوت المحبة ، أما الذبائح التي كان يفرضها الناموس للتكفير عن الخطايا فقد كانت رمزاً يشير إلى الذبيحة الحقيقية الواحدة وهي موت يسوع المسيح على الصليب . وقد كانت حوادث تاريخ الشعب اليهودي ترمز إلى حوادث الخلاص وتعد الشعب الاقبال التجسد . فيوسف الذي باعه أخوته حسداً وصار كما قال الكتاب عنه و مخلص العالم ، أثناء المجاعة التي حصلت ، كان رمزاً للمسيح الذي أسلم حسداً من اليهود أخوته بالجسد إلى الرومانيين لكي يمتوته فصار بالمعنى الكامل ومخلص العالم مطعماً الناس ليس خبزاً مادياً كما فعل يوسف بل الخبز السماوي الذي هو جده . كذلك خلاص الشعب الإسرائيلي من عبودية فرعون على يد . موسى ودخوله في أرض الميعاد على يد يشوع الذي هو اسم يسوع بالذات ومعناه

الله يخلص ، كذلك أرسل الله أنبياءه إلى شعبه على مر الأجيال وتهيئته لاستقبال التجسد . والنبي كما يدل إسمه كانت مهمته أن ينبيء بإرادة الله أي أن يعلنها بقوة داعيا البشر إلى تقويم ما اعوج من سيرتهم وإلى الرجوع إلى الله ، أ – لأنهم كانوا يحركون الضمائر النائمة المتحجرة ويقولون جهراً للناس أن تتميم الشريعة في الظاهر لا يهم ، إنما المهم تغيير القلب وإعطائه لله ، وهكذا كانوا يمهّدون طريق الله الآتي إلى العالم . ب – لأنهم كانوا يشيرون ، بإلهام إلهي ، إلى تجسد ابن الله وإلى أعمال الخلاص التي سوف يقوم بها في أرضنا . هكذا تحدث النبي أشعيا الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد عن البيت الذي يولد منها المسيح ، فقال إنه سيكون من نسل داود : « ويخرج قضيب من جذع يسي (وهو أبو داود) وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب » (أشعيا ١١ : ١ و ٢) . وأعلن النبي نفسه أنه يولد من عذراء : و هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ، (أشعيا ٧ : ١٤) . وتنبأ النبي ميخا الذي عاش هو أيضاً في القرن الثامن قبل الميلاد عن مكان ولادة المخلص فقال : « وأنت يا بيت لحم أفران أنك صغيرة في ألوف يهوذا ولكن منك سوف يخرج لي من يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجة منذ القديم منذ أيام الأزل . وتحدث النبي أشعيا عن رسالة المخلص : (روح الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأجبر المنكسري القلوب لأنادي يعق للمسيبين وبتخلية للمأسورين لأنادي بسنة الرب المقبولة وبيوم انتقام لإلهنا لأعزي جميع النائحين) : (أشعيا ٦١ : ١ و ٢) . كذلك أعلن أشعيا عن الآلام التي سوف يتحملها المخلص من أجل خطايا الناس : : جرح لأجل معاصينا وسحق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه و بجراحه شفيينا . كلنا ضللنا كالغنم ، كل واحد مال إلى طريقه ، فألقى الرب عليه إثم كلنا) (أشعيا ٥٣ : ٥-٧) . دور العذراء مريم في التجسد قلنا أن الله صمم في محبته أن ينحدر إلى الإنسان ليخلصه . إلا أنه – وهو يحترم حرية الإنسان – كان منتظراً أن يريد الإنسان خلاصه ، أن يشاء إقبال الإله المنحدر إليه . ولذا فقد هيا الله الإنسانية تدريجياً إلى إقبال الخلاص . وقد أدت هذه التهيئة إلى العذراء مريم . فمريم هي زهرة العهد القديم وثمره عناية الله بشعبه وتربيته له على مر الأجيال . ففي مريم بلغت قداسة العهد القديم ذروتها في الإيمان والتواضع والطاعة لله . لذلك في شخص مريم استطاعت البشرية أن تقول : نعم ، الله وان تتقبله مخلصاً لها ، هذا ما تم عندما أجابت مريم الملاك : و ها أنا أمة للرب فليكن لي حسب قولك : (لوقا ١ : ٣٨) . عندئذ تم تجسد ابن الله لأن البشرية و سمحت و له بشخص مريم أن يأتي إليها ويخلصها . لذلك كتب اللاهوتي الأرثوذكسي نقولا كيا سيلاس : . إن التجسد لم يكن فعل الآب وقدرته وروحه فحسب ، ولكنه أيضاً فعل إرادة العذراء وإيمانها . فبدون قبول الكلية النقاوة ، بدون مساهمة إيمانها ، هكذا كانت مريم ذلك و الباب المتجه نحو المشارق ، الذي تحدث عنه النبي حزقيال والذي عبر به الرب (حزقيال ٤٤ : ١ – ٣) . وكما تنشد الكنيسة وهي وحدها أدخلت المسيح وحده إلى المسكونة الخلاص نفوسنا « (خدمة عيد ميلاد السيدة) . ففي مريم تم أولاً الإتحاد بين الله والإنسان ، إذ أن ابن الله اتحد ذاته بجسد اتخذ من جسد مريم : و بمولدك اتحد كلمة الله بالبشر وطبيعة جنسنا المقصاة أقرنتها مع السماويين . وتدعو الكنيسة العذراء : والدة الإله ، لأنها ولدت الإله المتجسد . وبذلك تردد ما قالته الیصابات بوحی الروح القدس عندما زارتها نسبته العذراء مريم إذ : امتلات الیصابات من الروح القدس فصاحت بصوت جهير وقالت . من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلى ؟ » (لوقا ١ : ٤١ – ٤٣) . وتعتقد الكنيسة أن منزلة العذراء تفوق منزلة الملائكة إذ قد أهلّت إن تحمل في ذاتها ابن الله المتجسد فتصير هكذا هيكلًا حيًا للإله الذي لا تجسر طعمات الملائكة أن تنظر إليه . لذلك تخاطبها منشدة : « يا من هي أكرم من الشاروبيم وأرفع مجدًا بغير قياس من السارافيم ، وأيضاً : : لأنه صنع مستودعك عرشاً وجعل بطنك أرحب من السماوات ، (قداس باسيليوس) . وهكذا فتكرّم الكنيسة الأرثوذكسية للعذراء مريم يعود خاصة للدور الذي لعبته في التجسد . هو إسم ، والدة الإله ، ولذلك أيضاً عند عندما تمدحها تمدح بنوع خاص ذلك الدور الذي شاء الله أن يسنده إليها في مقاصده : (إفرجي يا من ولدت مرشد الضالين ، إفرجي يا من ولدت منقذ المأسورين ، (خدمة المديح) . وللسبب عينه لا تمثل الأيقونات الأرثوذكسية أبداً العذراء وحدها بل تمثلها دوماً ، ما حاملة إبنها وإنها . فمجد والدة الإله مستمد من ذاك الذي شاء أن يولد منها ، من ذلك الذي أعطته للعالم . متخفية وراء إبنها والتعليم الوحيد الذي نقله إلينا الإنجيل عن لسان العذراء إنما هو وصيتها للبشر بأن يطيعوا إبنها : مهما أمركم به فافعلوه » (يوحنا ٥٢) . وتعتقد الكنيسة أن العذراء بما أنها صارت أما للإله المتجسد ، فقد أصبحت أيضاً أما لكل الذين صار ذاك الإله أخوا لهم بالتجسد : ه لا يستحي أن يدعوهم أخوة . إذن إذ قد اشترك الأبناء في الدم واللحم اشترك هو كذلك فيهما ، (عبرانيين ٢ : ١١ و ١٤) ، وبنوع خاص اما للذين أصبحوا بإيمانهم تلامذة أحياء له . فعندما كان يسوع على الصليب خاطب مريم قائلاً لها عن التلميذ الحبيب : : هوذا إبنك . ثم خاطب يوحنا قائلاً : « هوذا أمك » (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) . فهذه العبارات يصح إطلاقها على كل تلميذ حبيب ليسوع أي كل مؤمن به . لذلك فلوالدة الإله نحونا حنان الأم ولهفتها . في عرس قانا

الجليل تحسست مريم الحاجة أهل البيت وضمت شعورها بهذه الحاجة إلى شعور إبنها قائلة له : « ليس عندهم خمر ، قلباها الرب وصنع من أجلها معجزته الأولى مع أن ساعته لم تكن قد أنت بعد (يوحنا ٢ : ٣ و ٤) . هكذا تتحسس مريم الحاجاتنا وشفاعتها هي أن تضم حنوها علينا الى حتو إبنها . وهذه الشفاعة قوية كما يظهر من حادثة عرس قانا الجليل . وكما تنشد الكنيسة : (ليس أحد يسارع محاضراً إليك ويمضي خازياً من قبلك أيتها البتول النقية أم الإله) (قانون الباراكليسي) . ولكن النعمة التي تطلبها لنا العذراء بنوع خاص هي أن يتصور إبنها فينا حتى نحمله نحن في كياننا كما حملته هي ونتحده به كما اتحدت به هي . إن الإله المتجسد سمي يسوع المسيح . أما ه يسوع ، فهي كلمة عبرانية معناها و الله يخلص . وقد أطلق هذا الإسم على ابن الله المتجسد نظراً للمهمة الخلاصية التي أتى ليقوم بها . لذلك قال الملاك المريم عندما بشرها : و ها أنت تحبلين وتلدن إبناً وتسمينه يسوع) (لوقا ١ - ٣١) ، والملاك الذي ظهر ليوسف قال له متكلما عن العذراء : و ستلد إبناً فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياها : (متى ١ : ٢١) . أما كلمة و المسيح ، فتعني الممسوح . وقد كان الأنبياء والملوك والكهنة في العهد القديم يمسحون بزيت مقدس ينالون بواسطته نعمة لاتمام رسالتهم ، ولذلك كانوا يدعون مسحاء الرب . ولكن هؤلاء لم يكونوا سوى صورة ورمز ليسوع الذي هو وحده مسيح الرب بالمعنى الكامل أي أنه مسح ليس بزيت ولكن بملء مواهب الروح القدس الذي الله الكاملة . وكاهنا قدم نبياً أنبأ : بحقيقة حل على إنسانيته فجعل منه الذبيحة الوحيدة المقبولة عن خطايا البشر ألا ، وهي ذبيحة ذاته ، وملكاً يملك إلى الأبد على البشرية المؤمنة به . وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية ، متحدتين في شخص واحد ، شخص إبن الله المتجسد ، وأن هذا الاتحاد قائم بدون إنقسام أو انفصال أو تحول أو اختلاط ، أي أن كلا من هاتين الطبيعتين تحتفظ بصفاتهما الخاصة ، فلا تفقد الطبيعة الإلهية صفاتها الإلهية ولا تفقد الطبيعة الإنسانية صفاتها الإنسانية (بدون تحول أو اختلاط ولكنهما متحدتان في شخص واحد (بدون انقسام أو انفصال) . وإذا أردنا صورة توضح هذا المعتقد ، فلنأخذ الحديد المحمي بالنار ، النار والحديد إذ هما مجتمعان في قطعة الحديد المحمي . وبعبارة أخرى تعتقد الكنيسة أن يسوع المسيح إله تام وإنسان تام ، إله حقيقي وإنسان حقيقي ، ولكنه شخص واحد لأن إبن الله ضم الطبيعة الإنسانية الى لاهوته وجعلها وهذا اللاهوت شخصاً واحداً ، شخص الإله المتجسد . وقد كان هذا التدبير الإلهي ضرورياً للخلاص ، لأنه لو كان المسيح إلهاً فقط ولو كانت إنسانيته مجرد وهم وخيال فكيف كان دخل اللاهوت الى صميم البشرية ليقدسها ؟ ولو كان المسيح إنساناً فقط فكيف يكون جسراً به تنقل إلى الإنسانية الحياة الإلهية نفسها ؟ ولو كان اللاهوت والناسوت في المسيح منفصلين فكيف يتم بين الله والإنسان ذلك الاتحاد الصميمي الذي به تتجدد الإنسانية وتتأله ؟ هذا الاعتقاد القويم في شخص المسيح شرط أساسي إذا لندرك الخلاص الذي منحنا الرب إياه . كما أنه حجر زاوية في حياتنا الروحية ، لأنه إذا كان اللاهوت قد اتحد بالناسوت في شخص المسيح دون أن يبطل هذا الناسوت ، فذلك يعني انه يمكننا أن نتحد بالله ونتأله دون أن تذوب إنسانيتنا وتمحى . وهكذا يمكننا أن . فقد ظهرت في القرن الخامس بدعة نادى بها نسطوريوس علمت أن المسيح شخصين أحدهما إلهي والآخر إنساني غير ملازمين بالضرورة أحدهما للآخر . وقالت بأن المسيح عندما ولد كان إنساناً محضاً ثم سكنت فيه الألوهية كما في هيكل ولازمته الى حين صلبه ، حينئذ فارقت فلم يكن على الصليب سوى إنسان يتألم . ولذلك كان أتباع هذه البدعة يسمون العذراء مريم ، والدة المسيح ، وليس ، والدة الإله . ولكن هذه البدعة النسطورية التي تشق شخص المسيح الواحد ، مخالفة لتعليم الكتاب المقدس . فقد حيث اليصابات مريم الحبل بيسوع قائلة لها : « من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي ؟ ، وهذا الكلام الموحى به من الروح القدس (لأن اليصابات قالتها وهي ممثلة من الروح القدس) يعني أن مريم مزعومة أن تلد ليس مجرد إنسان بل الرب نفسه . كذلك المسيح المتألم والمهان على الصليب لم يزل حتى في تلك اللحظات أيضاً إلهاً ، كما يتضح من قول الرسول بولس : : لو عرفوا لما صلبوا رب المجد) (١ كورنثوس ٢ : ٨) : فالمصلوب هو إذا بالوقت نفسه رب المجد . كذلك تحدث الرسول نفسه عن » كنيسة الله التي اقتناها بدمه : (أعمال ٢٠ : ٢٨) : فالدم الذي سفك على الصليب لم يكن مجرد دم إنسان إنما كان دم الله نفسه . وقد اجتمع المجمع الثالث المسكوني في أفسس سنة ٤٣١ لدحض هذه البدعة ، وكرد فعل للبدعة السابقة ، ظهرت في القرن الخامس أيضاً بدعة معاكسة نادى بها أفثيشيس (او أوطيخا) تقول بأن الطبيعة الإلهية في المسيح قد ابتلعت الطبيعة الإنسانية ولذا فالمسيح ليس فقط شخصاً واحداً ، كما تقول الأرثوذكسية ، بل طبيعة واحدة أيضاً وهي الطبيعة الإلهية التي ذابت فيها الطبيعة الإنسانية. ولذا دعيت هذه البدعة ه بدعة الطبيعة الواحدة . وقد حكم عليها المجمع الرابع المسكوني المنعقد في خلقيدون سنة ٤٥١ ، وأثبت ان يسوع ليس فقط إلهاً تاماً ولكنه أيضاً إنسان تام ، إنسان بالحقيقة وليس بالمظهر والخيال. القول بالطبيعتين الذي حدده المجمع المسكوني الرابع لم تأخذ به الكنائس الشرقية القديمة (السرمان الأقباط الأحباش، الأرمن. أن هذه الكنائس ترفض

عبارة الطبيعتين ولكنها تكفر بأن اوطيخا القائل بذوبان الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية. فيكون الاختلاف فيما بيننا وبينها إختلافاً لفظياً لا يمس جوهر العقيدة . وهذا ما يتضح جلياً في الإنجيل كله إذ نرى فيه يسوع قد ولد كإنسان ونما وترعرع وكان يجوع ويعطش ويفرح ويتألم ويكي وقد مات و دفن كإنسان . وكما كان يتكلم كإله قائلاً : (أنا والأب واحد . (يوحنا ١٠ : ٣٠) ، كان يتكلم أحياناً كإنسان قائلاً : و أنتي منطلق الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) (يوحنا ٢٠ : ١٧) . وفي الظرف نفسه كان يتصرف كإله وإنسان مظهراً بذلك أن الطبيعتين الإلهية والإنسانية قائمتان كلاهما في شخصه الواحد ، فمثلاً كإنسان تعب وعطش وطلب من السامرية ان تسقيه ماء كاله كشف لها خفايا حياتها . كإنسان بكى على لعازر وسأل أين وضعوه وكاله أقامه من بين الأموات .

ولذا كتب يوحنا : « والكلمة صار جسداً ، (يوحنا ١ : ١٤) ، وورد في الرسالة الى العبرانيين، إذ اشترك البنون في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما . (عبرانيين ٢ : ١٤) . ولما استفحل الخلاف بين الأرثوذكس وأتباع الطبيعة الواحدة ، أراد البعض ، بضغط من الإمبراطور ، أن يوفقوا بين وجهتي النظر ، فاستعاضوا عن عبارة وطبيعة واحدة ، بعبارة ، مشيئة واحدة ، قائلين أن في المسيح طبيعتين ولكن المشيئة الإنسانية فيه ذابت في المشيئة الإلهية . ولكن المجمع السادس المسكوني المنعقد سنة ٦٨٠ في القسطنطينية دحض هذه البدعة الجديدة مثبتاً أن للمسيح إرادة إنسانية تتميز عن الإرادة الإلهية . فالإرادة الإلهية في المسيح هي إرادة الأب عنها : وأنا والأب واحده (يوحنا ١٠ : ٣٠) . أما الإرادة الإنسانية فيه فقائمة بذاتها ولكن المسيح بحريته أخضعها طيلة حياته وحتى الموت ، موت الصليب ، لإرادة الأب . هذا ما يتضح في قول الرب : (لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني : (يوحنا ٥ : ٣٠) . فللمسيح إذا كإنسان مشيئة متميزة عن مشيئة الأب ولكنه بحريته يرفض أن يدعها تختلف عن مشيئة الأب . وهذا ما يظهر أيضاً عندما صلى في بستان الجسمانية : و يا أبتاه إن شئت أن تعبر عني هذه الكأس ، قائلاً : ، ولكن لتكن مشيئتك وليس مشيئتي : (متى ٢٦ : ٣٩)) وهنا أخضع إرادته الإنسانية خضوعاً كاملاً للمشيئة الإلهية . ولكون الإرادة الإنسانية في المسيح متميزة عن الإرادة الإلهية لذلك كان من الممكن أن تجرب بالإستقلال عن الإرادة الإلهية وبالفعل جرب المسيح لكي يصبح شبيهاً لنا بكل شيء حتى بتجاربنا . وقد روى لنا الإنجيل تجربتين حدثنا له إحداهما هي تجربته في البرية بعد صيامه (متى ١٤ - ١١) والثانية تجربته برفض الآلام (متى ٢٦ : ٣٩) . ولا بد أن يسوع من بتجارب أخرى طيلة حياته ولكنه كان دائماً باختياره يخضع إرادته الإنسانية لإرادة الأب وهكذا لم يرتكب خطيئة مع أنه شابها بكل شيء . لذا استطاع أن يتحدى أعداءه سائلاً إياهم بجرأة لا يقوى إنسان عليها : « من منكم يوبخني على خطيئة ؟ (يوحنا ٨ : ٣٦) . لذلك أيضاً استطاع ان يقول لتلاميذه قبل آلامه : و لأن رئيس هذا العالم بأني (أي الشيطان) وليس له في شيء . (يوحنا ١٤ : ٣٠) . وبهذا المعنى أيضاً كتب عنه الرسول بطرس : (إنه لم يعمل خطيئة ولا وجد في فمه غش) (١ بطرس ٢ : ٢٢) . هكذا شاء الإله المتجسد أن يتخذ إرادة بشرية تامة لكي يجدد من الداخل إرادتنا الإنسانية المفسدة و شاء أن يمر بتجاربنا كي يعطينا قوة التغلب على التجارب .